ما بين رحلة القدس ومحادثات كامب ديفيد

آثرت عدم التعرض لمحادثات كامب ديفيد، التي جرت على مدى ثلاثة عشر يوماً، كانت من أقسى وأشد المحادثات التي جرت في تاريخ الدبلوماسية الدولية. كانت المشكلة معقدة إلى أبعد الحدود، وكان الوفد الإسرائيلي، كما جاء على لسان أحد أعضائه لا ينوي التوقيع على أي اتفاق. وقد حدا ذلك بالرئيس السادات، بعد بدء المحادثات بأيام قليلة، إلى أن يبلغ الرئيس جيمي كارتر أنه قرر ألا يبقى في كامب ديفيد، ولكن الرئيس الأمريكي تعهد للرئيس السادات بأن تسير المحادثات في طريق التوصل إلى اتفاق.

أقول آثرت عدم التعرض لهذه المحادثات لأنها كانت تدور في جو من الغموض والتوتير والأعصاب المشدودة. يتوصل الأطراف في يوم إلى ما يشبه التقاء في وجهات النظر، ثم في اليوم التالي تتعقد الأمور. ولا أكون مغالياً إذا قلت أن ذلك يحدث أيضاً بين ساعة وأخرى!.

ولقد عشنا في واشنطن يوم الأحد، أمس الأول، يوماً غريباً.

قالوا في الصباح أن المحادثات وصلت إلى طريق مسدود، وأن كل وفد بدأ يستعد للعودة إلى واشنطن.

وعند الظهر أعلنوا أن الموقف تحسن، وأن فرص الاتفاق والفشل تساوت مع بعضها...

وفي العصر جاءت الأنباء من داخل كامب ديفيد تعكس أنه لا أمل!

وعند نهاية الغروب طلبوا منا التوجه إلى البيت الأبيض لحضور توقيع الاتفاق!

هكذا عشنا أسبوعين بواشنطن في جو لا يمكن لأي متابع أو مراقب أن يتنبأ بما يمكن أن يسفر عنه هذا المؤتمر.

وأخيراً، وفي القاعة الشرقية للبيت الأبيض، وأمام حشد كبير، وقع الرئيس السادات والرئيس كارتر و مناحم بيجين، الاتفاق الذي نص على إطار التسوية الشاملة، تمهيداً للسلام الدائم في الشرق الأوسط.

ومن المؤكد أن هذا الاتفاق قد وضع النزاع العربي الإسرائيلي، أو بمعنى آخر، وضع عملية السلام على الطريق السليم. فالاتفاق لم يحل المشكلة بعد، وإنما وضع لها الإطار الذي يمكن في داخله أن نتوصل إلى الحل الدائم لها.

www.anwarsadat.org

ومن المؤكد أيضاً أنه في الأيام القادمة- أي بعد أسبوعين أو ثلاثة على الأكثر- ستبدأ المحادثات الخاصة بسيناء، وكذلك الخاصة بالضفة الغربية وقطاع غزة، إذ ستسير المحادثات بالنسبة للاثنين في خطين متوازيين.

ومن المؤكد أيضاً أن تلك المحادثات لن تكون سهلة ولا ميسرة، إنما ستحتاج إلى عمل متواصل شاق تفرضه طبيعة المشكلة وجذورها العميقة، ومن هنا جاءت فكرة اشتراك أمريكا في كل تلك المحادثات بوصفها شاهدة على المبادئ الأساسية التي تم التوصل إليها في اتفاق كامب ديفيد.

وهناك ملاحظة هامة تفرض التسجيل والتوضيح:

لم ينص اتفاق كامب ديفيد على نقطتين هامتين هما قضية القدس، وتحديد الفلسطينيين لمصيرهم.

ولقد كان هناك رأيان في المؤتمر: الأول يقول أنه ما دامت المحادثات تعرضت لكافة جوانب القضية فلابد أن تشمل هاتين النقطتين، والثاني أن الرئيس السادات كان يرى عدم الدخول في تفاصيل قضية القدس، وتحديد الفلسطينيين لمستقبلهم، مع ضرورة الاتفاق المبدئي حولهما. وكانت وجهة نظر الرئيس السادات أن هاتين النقطتين بالذات – القدس وتقرير المصير- لا يمكن لأحد أن يبت فيهما إلا الفلسطينيون أنفسهم. وأيد الرئيس كارتر هذا الرأي، وتم الاتفاق على أن يناقش الفلسطينيون هاتين النقطتين عندما يشاركون في المحادثات التي ستجرى بالنسبة لمستقبل القضية الفلسطينية مع الأخذ في الاعتبار أن أعضاء الوفد الفلسطيني سيكون لهم حق الفيتو على أي قرار يمكن أن يصدر حول هذه النقاط.

ولقد علمت أن الأردن سيدعى للمشاركة في المحادثات الخاصة بالضفة الغربية، كما ستدعى مصر للمشاركة في المفاوضات الخاصة بشأن قطاع غزة.

وكان الملك حسين قد تحدث إلى صديق له بلندن في هذا الشأن، ونقل الصديق الحوار مع الملك حسين إلى الرئيس السادات في كامب ديفيد، وبناء على ذلك اتصل الرئيس بالملك في لندن.

كذلك أثير في المحادثات المكان الذي ستجرى فيه المحادثات القادمة الخاصة بسيناء، واقترح الوفد الإسرائيلي أن تتم في العريش، ورفض الرئيس السادات هذا الاقتراح ما دامت القوات الإسرائيلية تحتل المدينة، ثم اتفق على تأجيل اختيار المكان إلى ما بعد موافقة الكنيست على مبدأ الانسحاب الإسرائيلي الكامل من سيناء.

تبقى بعد ذلك نقطة الجولان، وقد اتفق في المحادثات على أن ما سوف يطبق بالنسبة لسيناء سيسري على الجولان، وسيدعي السوريون لكي يتولوا بأنفسهم المحادثات الخاصة بانسحاب إسرائيل من هضبة الجولان.

وبعد .. فإن هناك عدة حقائق حول اتفاق كامب ديفيد لابد من تسجيلها:

أولاً: لقد قدم الوفد المصري موضوع الضفة الغربية وقطاع غزة على سيناء، كما تمسك بضرورة إعلان أن قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ يسري عليهما وكانت إسرائيل قد أعلنت أكثر من مرة أن هذا لا علاقة له بالضفة الغربية.

ثانياً: هذه هي المرة الأولى في تاريخ الصراع التي توقع فيها إسرائيل على نص يتضمن حقوق الشعب الفلسطيني.

ثالثاً: إن الرئيس الأمريكي جيمي كارتر تمسك أثناء المحادثات بكل الوعود التي قطعها على نفسه، وكان صريحاً وواضحاً في تأكيد مشاركة الفلسطينيين في تقرير مصيرهم، في الكلمة التي قدم بها لتوقيع الاتفاق أمس الأول في البيت الأبيض.

إن اتفاق كامب ديفيد لا يقل أهمية ولا وزناً عن زيارة الرئيس للقدس، والمكاسب التي تحققت للعرب بصفة عامة، وللشعب الفلسطيني بصفة خاصة، لم يكن من الممكن التوصل إليها في عشرات السنين لولا أن مصر بوزنها التاريخي وقيمتها الحضارية وبقيادة أنور السادات قد استطاعت بشجاعة واثقة أن تقتحم معركة السلام وهي لا تقل ضراوة ولا قسوة ولا مشقة عن أي معركة عسكرية، بكل ما تمثله الحروب من دمار وخراب وإراقة دماء.

واستطاعت مصر بالحق والإصرار والصبر والمثابرة أن تتوصل إلى إنهاء صراع لم يكن أشد المقربين إلى العرب ولا أكثر المتفائلين بالنسبة للقضية العربية أن يجدوا له حلاً أو مخرجاً.

ماذا سوف يقول الرافضون .. دعهم يقولون مع التحدي الكامل لعجزهم عن التوصل إلى أي حل.

وعلى الشعب الفلسطيني اليوم أن يتقدم ليقرر مصيره، ويتحمل مسئوليته، ويعوض عشرات السنين التي عاشها تائهاً مشرداً، واقعاً تحت سيطرة المغامرين والمزايدين والانتهازيين.

www.anwarsadat.org